العرب
السبت 2021/05/08
السنة 43 العدد 12054

المغاربة يستبدلون الفرنسية بالإنجليزية في الثقافة والتعليم

الثقافة الأنجلوساكسونية تعد المغاربة بمستقبل أفضل

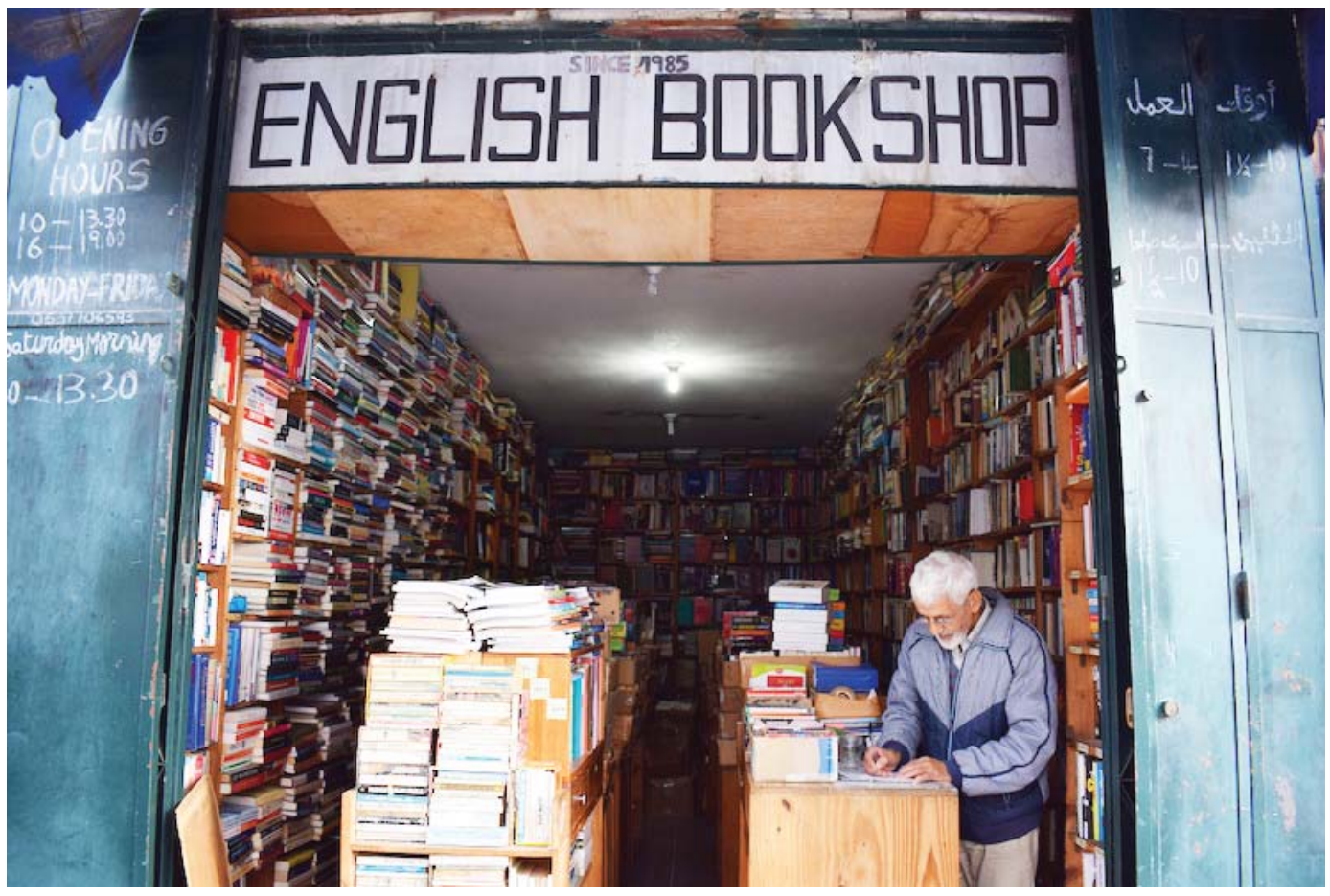

الإنجليزية تتوسع يوما بعد آخر في المغرب

بعد عقود من هيمنة اللغة الفرنسية على المستويين الثقافي والتعليمي في البلدان المغاربية تتراجع هذه اللغة لصالح نظيرتها الإنجليزية التي تشهد انتشارا واسعا من المرجح أن يتضاعف وقد يحتل مكانة الفرنسية كلغة ثانية، نظرا إلى حيوية الإنجليزية وتوسع نفوذها وعمق تأثيرها ثقافيا وعلميا واقتصاديا واجتماعيا وغيرها من المجالات، وهذا ما تؤكده دراسة قام بها المجلس الثقافي البريطاني في المغرب.

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

أظهرت دراسة حديثة أن أكثر من ثلثي الشباب المغاربة على اقتناع تام بأن اللغة الإنجليزية ستنجح خلال السنوات الخمس القادمة في أخذ مكان اللغة الفرنسية بوصفها اللغة الأجنبية الأولى في المغرب، في وقت اعتبر 74 في المئة من المستجوبين أن الانتقال إلى اللغة الإنجليزية سيفيد طموحات المغرب ثقافيا وسياحيا واقتصاديا.

وقد كشفت نتائج دراسة استقصائية مستقلة بعنوان "Shift to English in Morocco"، قام بها المجلس الثقافي البريطاني، شملت 1200 شاب مغربي تتراوح أعمارهم ما بين 15 و25 سنة، أن أغلبية المشاركين يعتبرون اللغة الإنجليزية بالغة الأهمية بالنسبة إلى مستقبلهم ومستقبل المغرب.

عطاءالله الأزمي

الإنجليزية من بين لغات الثقافة والعلم والاقتصاد السائدة دوليا

المامون حساين

الفرنسية عائق وضعه المستعمر على أبواب الانفتاح في المغرب

وبحسب المصدر ذاته فإن 85 في المئة يتوقعون أن يشهد عدد المغاربة الذين يستخدمون اللغة الإنجليزية ارتفاعا متزايدا خلال السنوات العشر القادمة، كما قدم 82 في المئة رأيا إيجابيا بشأن الإنجليزية كلغة أجنبية.

تراجع الفرنسية

أبرز مدير المجلس الثقافي البريطاني بالمغرب توني رايلي، أن "المغرب يتمتع بثقافة وتاريخ غني ومتنوع ومتعدد اللغات، وهذه الأمور ستظل راسخة ولن تتغير مع مرور الوقت، ويمثل تعدد اللغات الذي يتزايد في العالم يوما تلو الآخر ميزة كبيرة جدا".

ويعتبر عطاءالله الأزمي أستاذ التعليم العالي والكاتب العام للائتلاف الوطني لترشيد الحقل اللغوي في تصريح لـ"العرب" أن الدراسة الاستقصائية المستقلة التي قام بها المجلس الثقافي البريطاني على عينة من 1200 شاب مغربي، قد قدمت نتائج لافتة تؤكد أن الثقافة الأنجلوساكسونية واللغة الإنجليزية تعدان رافدا هاما من روافد الحضارة الإنسانية، ومستقبلا واعدا على المستوى الكوني، لغويا وتواصليا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

وحسب رأي الباحثين في المجلس الثقافي البريطاني بالمغرب فإن "اللغة الإنجليزية تحظى مع مرور الوقت بالمزيد من التقدير، والشباب يدركون قيمتها وأهميتها في العالم الراهن، حيث أكد 40 في المئة من المستجوبين الذين شملتهم الدراسة أنهم يفضلون تعلم اللغة الإنجليزية، مقابل 10 في المئة فقط اختاروا الفرنسية، في حين رأى 65 في المئة مقابل 62 في المئة أن اللغة الإنجليزية أكثر أهمية من اللغة العربية.

كما أن الشباب يوصون الآخرين بتعلم اللغة الإنجليزية بدلا من اللغة العربية أو الفرنسية، علاوة على أنهم ينظرون إليها بصفتها لغة دولية ويمكن الاعتماد عليها في كل ما يخص العلوم والأعمال والإنترنت، وعلى أنها لغة المستقبل أيضا.

ويرى عطاءالله الأزمي، أن اعتبار أولئك الشباب المغاربة اللغة الإنجليزية بالغة الأهمية بالنسبة إلى مستقبلهم ومستقبل المغرب هو مؤشر على تراجع الفرانكوفونية في المجال الثقافي بالمغرب وغيره من الدول المغاربية، حيث إن دراسات سابقة أجريت على الآباء والأمهات وأولياء الأمور بالمغرب وبدول مغاربية، جاءت نتائجها مطابقة لهذا التوجه، أي أن أغلبية العينة المستجوبة أكدت على اختيارها الإنجليزية لغة ثانية بالنسبة إلى أبنائها بالمدارس عوض اللغة الفرنسية حاليا، وحتى بالنسبة إلى الدراسات العليا والجامعية.

وتهيمن اللغة الانجليزية على خطوط التواصل الدولي من الإنترنت إلى ميادين العلاقات الدولية والعلوم الطبيعية والطب والهندسة، إلى جانب تفوقها كأداة تواصل في المؤتمرات العلمية الدولية والندوات والاجتماعات والحلقات الدراسية. وعلى المستوى المغربي، فاللغة العربية لغة للتعليم الأساسية، فيما تتخذ الفرنسية دور اللغة الثانية والأولى في تعليم العلوم والتقنيات في التعليم العالي، لكن اللغة الإنجليزية بدأت تتطور كلغة أجنبية ذات مستقبل مفتوح.

ويؤيد الشباب المغاربة بشدة استبدال اللغة الفرنسية بالإنجليزية، ويرون أن هذا الأمر من شأنه أن يكون مفيدا لهم على المستوى الشخصي، ولوطنهم على حد سواء، ويتوقع 85 في المئة أن يرتفع عدد الشباب المغاربة الذين يتحدثون الإنجليزية خلال السنوات العشر القادمة، مقابل 57 في المئة يتوقعون أن تكون الزيادة مهمة جدا، مقارنة بنسبة 23 في المئة فقط صوتوا لصالح اللغة الفرنسية.

وحول مستقبل اللغة الإنجليزية في المغرب، يؤكد الباحث المغربي المامون حساين، عضو المكتب التنفيذي للمركز المغربي للشباب والتحولات الديمقراطية، على أن اللغة الفرنسية هي العائق الذي وضعه المستعمر الفرنسي على أبواب الانفتاح في المغرب، موضحا أن فرنسا تعاني لغويا، ومن الطبيعي أن تفكر مستعمراتها القديمة في تدارك ذلك، باختزال المسافة من خلال خيار لغتي المجتمع، لغة التواصل المرتبطة بالهوية، ولغة المعرفة المعتمدة في التدريس والبحث العلمي، وهي التجربة التي تبنتها بنجاح الدول الأسكندنافية.

ويشدد المامون حساين، الذي يشغل أيضا خطة مؤطر داخل المجلس الثقافي البريطاني، في تصريح لـ"العرب"، على أن اللوبي الفرنسي القوي في المغرب يشعل بين الفينة والأخرى حربا ضد التوجه نحو الإنجليزية، مما يؤكد ضرورة التوفر على الإرادة السياسية والنخبوية للقيام بهذا التحول.

لغة العصر

يعتقد 83 في المئة من الشباب الذين شملهم الاستقصاء أن اللغة الإنجليزية ستمنحهم فرصة الحصول على تعليم ذي جودة أفضل يكون معترفا به دوليا، بالإضافة إلى تعزيز السياحة الدولية في المغرب، وأيضا مساعدتهم أكثر في العثور على عمل أو الدراسة خارج أرض الوطن.

ويستعمل الشباب المغاربة اللغة الإنجليزية في كل ما يخص عالم الإنترنت ووسائل الإعلام، وسمحت الأزمة الصحية المرتبطة بتفشي فايروس كورونا المستجد بالانفتاح أكثر على تعلم اللغة الإنجليزية، وأضحى الشباب المغاربة متعطشين لمعرفة الأخبار بهذه اللغة.

وسمحت الأزمة الصحية للشباب المغاربة بتحسين لغتهم الإنجليزية من خلال التفاعلات الاجتماعية على الإنترنت والأفلام والمنابر التعليمية، ويعد إنستغرام ويوتوب وتويتر ونتفليكس من بين الوسائط الأكثر جماهيرية التي تحظى بمتابعات كبيرة.

وإلى جانب ما سبق، فإن نسبة 79 في المئة من الشباب المغاربة أكدوا أنه في حالة ما إذا أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة الرئيسية الثانية للمغرب، فإنها ستدعم أكثر طموحات البلد في ضمان انفتاح ثقافي أوسع وأن يصبح مركزا للأعمال التجارية الدولية وبوابة إلى إفريقيا.

ويعتقد حساين في حديثه لـ"العرب" أننا نعيش عالما معاصرا لا يعترف في مجال التواصل إلا باللغة الانجليزية، وللأسف الفرنسية ليست مجرد لغة في المغرب، بل إن تواجدها المفروض بالإكراه وخارج القانون وضدا على قرارات السيادة، في جميع مجالات الحياة، هو شكل من أشكال الاستعمار الثقافي، وجب على الحكومة إنهاؤه وفقا للدستور وللقانون الدولي الذي يمنع استمرار مظاهر الاستعمار، وما على المشكك في هذا الوصف إلا النظر بعين المتأمل إلى خارطة المناطق التي خضعت للاستعمارين الفرنسي والإنجليزي.

ويوضح حساين، فكرته لـ"العرب" قائلا "البلدان التي استقلت عن بريطانيا واحتفظت بالإنجليزية لغة ثانية، لا تعاني نفس الوضع الكارثي الذي تعانيه البلدان التي استقلت عن فرنسا واحتفظت بلغتها، من حيث الهيمنة اللغوية، وهي البلدان التي أطلقت عليها فرنسا وصفا تحقيريا وهو 'البلدان الفرنكفونية'، وخلص، إلى أن اللغة الفرنسية هي القفل الذي يمنع المغاربة من الانفتاح على العالم، لذلك فلا مناص من إلغاء هذه اللغة الميتة وتبني الإنجليزية كلغة أجنبية للتعامل مع الخارج، واللحاق بلغة المعرفة والعلم".

ويرى الأزمي، أن نسبة ما ينشر علميا عبر العالم، سواء في الكتب والمجلات العلمية المحكمة، والدراسات المرقمة والمعترف بها دوليا أغلبه باللغة الإنجليزية، بل إن الباحثين والعلماء والأطباء الفرنسيين يقدمون مداخلاتهم وعروضهم العلمية في المؤتمرات والملتقيات الدولية بالإنجليزية وليس بالفرنسية، ويتمظهر هذا التوجه حتى على المستوى الاقتصادي والخدماتي مثلا، فقد أصبحنا نلحظ – منذ مدة – ظاهرة الكتابات باللغة الإنجليزية على العديد من المحلات التجارية الكبرى والصغرى والمطاعم والمقاهي والمكتبات والمؤسسات التعليمية الخصوصية... وغيرها أمام تراجع ملحوظ لما كان يكتب باللغة الفرنسية.

كما أن الشباب يوصون أقرانهم بتعلم اللغة الإنجليزية بدلا من اللغة العربية أو الفرنسية، علاوة على أنهم ينظرون إليها بصفتها لغة دولية ويمكن الاعتماد عليها في كل ما يخص العلوم والأعمال والإنترنت، وعلى أنها لغة المستقبل أيضا.

كارستن نيبور الناجي الوحيد من رحلة غيرت نظرة الغرب إلى العرب

الرياض – وثقت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، رحلة الألماني كارستن نيبور، في إصدارها ترجمة لكتاب "رحلة نيبور إلى الجزيرة العربية"، الذي يروي فيه رحلته من الدنمارك إلى الجزيرة العربية مع ستة من العلماء الذين فارقوا الحياة قبل إكمال الرحلة؛ بسبب المرض؛ إلا أن المؤلف تابع الرحلة وحيداً، وكانت أهداف الرحلة الإجابة على أسئلة طرحتها أكاديمية العلوم بباريس حول هذه البقعة من العالم.

وكارستن نيبور عاش في الفترة ما بين الـ17 من مارس 1733 والـ26 من أبريل 1815، حيث ولد في قرية بشمال غرب ألمانيا في سكسونيا السفلى، من عائلة فلاحين بسطاء وقليلي التعليم، ورغم أنه عمل فلاحاً في مزرعته في أول سنين حياته، فقد أظهر ميلا لدراسة الرياضيات وتلقى بعض الدروس في علم المساحة والخرائط حيث كان مهتمًا بالرياضيات التي كابد في تعلمها حتى أصبح ذا شأن علمي كبير، وأخذ مكانة هامة كمستكشف وعالم خرائط، وعمل في خدمة الدولة الدنماركية، وصار عضوا بالأكاديمية الملكية السويدية للعلوم وأكاديمية النقوش والآداب الجميلة.

في عام 1760 دعاه أحد أساتذته للانضمام إلى فريق الاستكشاف العلمي الذي كان الملك فريدريك الخامس ملك الدنمارك يستعد لإرساله إلى مصر والجزيرة العربية وسوريا.

من أجل التأهل لهذا العمل، درس بجدّ خلال الثمانية عشر شهرًا التي سبقت مغادرة البعثة المختصة في الرياضيات ورسم الخرائط وعلم الفلك مع توبياس ماير (1723 – 1762)، والذي يعد أحد أهم علماء الفلك في القرن الثامن عشر.

خلال فترة الإعداد هذه، تمكن نيبور أيضًا من اكتساب بعض أساسيات اللغة العربية، ومن ثم أبحرت البعثة في الـ4 من يناير 1761، ووصلت الإسكندرية مساء الـ26 من سبتمبر، وسافرت في منطقة دلتا النيل لمدة عام. ثم اتجهت إلى السويس في سبتمبر 1762. ومن هناك ذهب نيبور إلى جبل سيناء وفي أكتوبر 1762 غادرت البعثة السويس إلى جدة.

وصل العلماء الخمسة إلى ميناء اليمن الحالي في خريف عام 1762، ثم أبحروا نحو اللؤية واستمروا في رحلتهم على ظهور الحمير والجمال في تهامة، وهي منطقة جبلية في جنوب غرب اليمن. في الطريق من المخا إلى تعز، مات عالم فقه اللغة الدنماركي وعالم اللاهوت فريدريك كريستيان فون هافن (1728 – 1763) بسبب الإرهاق والمرض، وبعد ذلك بوقت قصير توفي عالم الطبيعة السويدي بير فورسكول (1732 – 1763). ثم زار الناجون صنعاء في يوليو 1763، لكنهم عانوا كثيرا من المناخ وأسلوب الحياة لدرجة أنهم عادوا إلى المخا في الـ5 من أغسطس.

وكانت جزيرة العرب تشكل بقعة مجهولة بالنسبة إلى العالم الأوروبي، حيث أسهمت كتب الرحالة الذين وفدوا إليها في القرون الماضية بشكل كبير في إضاءة ملامح الجزيرة العربية وما تكتنزه من تراث وثراء معرفي.

وخلال رحلته كان نيبور مراقبا دقيقا ويقظا، فقد وهب غريزة العالم واستقامة أخلاقية كبيرة، سجل نتائج ملاحظاته بضمير صارم ورغبة كبيرة في تمثيل الواقع. وقد أثبتت ملاحظاته خلال الرحلة الاستكشافية إلى شبه الجزيرة العربية أن استخدام طريقة تحديد خط الطول بالمسافة من القمر من قبل البحارة كان دقيقًا وعمليًا. كما كانت النسخ التي صنعها في برسيبوليس للكتابة المسمارية، على سبيل المثال، دقيقة للغاية لدرجة أنها استخدمت فيما بعد لفك شفرتها.

> «رحلة نيبور إلى الجزيرة العربية» كتاب ألغى النظرة الاستشراقية إلى بلاد العرب وحضارتها وفتح آفاقا للرحالة الغربيين

وفي الكتاب الجديد نجد رسم نيبور لأول خرائط تفصيلية لجزيرة العرب، وعدد من المناطق، والمدن التي زارها في كل من اليمن والعراق والخليج العربي وسوريا وفلسطين، ووصف عادات أهلها وأحوالهم المعيشية والاجتماعية، وبعض الخرائط يُستفاد منها إلى يومنا هذا.

ونشر المؤلف نتائج رحلته في العديد من الكتب والمقالات، وكان أهمها الكتاب الذي بين أيدينا، وهو يُعد أول وصف علمي يقوم به رحالة أوروبي للجزيرة العربية ومناطقها ومدنها، حيث كان المؤلف قوي الملاحظة، وكانت أبحاثه حول الشرق، والجزيرة العربية بشكل خاص، الأولى من نوعها؛ وعدّه المستشرقون الأوروبيون "المؤسس الأول" للبحوث العلمية والجغرافية عن بلاد العرب.

وفتحت رحلة المؤلف آفاقا واسعة للبحث العلمي حول تاريخ شعوب هذه المنطقة وحضاراتها، فتتالت البعثات من بعده للتعمق بالموضوعات التي طرحها نيبور في وصف رحلته، خصوصاً العادات والتقاليد والديانة وشعائر الحج ووصف بعض المدن العربية وعماراتها وأسواقها وجوامعها؛ مما دفع الأكاديميات الأوروبية إلى تشجيع تعلّم اللغة العربية وفتح اختصاصات تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها والأنثربولوجيا والعلوم الإسلامية، فإلى عصر التنوير تعود أوائل الترجمات الأجنبية للقرآن الكريم باللغات الأوروبية.

غيرت هذه الرحلة النظرة الاستشراقية لجملة من الثوابت العلمية عن بلاد العرب، حيث كانت تجهل الحضارة العربية والإسلامية، وعززت من قيمة البحث العلمي وفتحت المجال أمام الرحالة والباحثين لقراءة المنجز الحضاري والتراثي للعالم العربي، وقراءة ما تكتنزه جزيرة العرب والمملكة من عناصر ثقافية وتراثية وحضارية متنوعة.

رحلة مؤثرة إلى الجزيرة العربية